

## زينب رضى الله عنها و القلادة

102 أغسطس, 2003

للأستاذ : السيد حسن قرون

خطب أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زينب بنت محمد بن عبد الله – صلى الله عليه و سلم- و كان كما يقول ابن هشام من رجال مكة المعدودين مالا و أمانة و تجارة و كان لهالة بنت خويلد و كانت خديجة خالته فسألت خديجة رسول الله أن يزوجه و كان رسول الله لا يخالفها و ذلك قبل أن ينزل عليه الوحي فزوجه و كانت خالته خديجة تعده بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله –صلى الله عليه و وسلم- بنبوته أمنت به خديجة و بناته فصدقته و شهدن أن ما جاء به الحق و دن بدينه و بقى أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله قد زوج ابنتيه رقية و أم كلثوم لابني عمه عتبة ابن أبي لهب و عتيبة ابن أبي لهب و لم يدخل بهما فلما دعا قريشا إلى الإسلام و بين فساد اعتقادهم مكروا مكرا جسيما فقالوا إنكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا إليه بناته فاشغلوه بهن فماذا فعلوا؟ مشوا إلى أبي العاص بن الربيع فقالوا له : فارق صاحبك و نحن نزوجك أي امرأة من قريش و كان رسول الله ينثني عليه في صهره خيرا و من كلام رسول الله عنه " ما ذمنا صهر أبي العاص " قال أبو العاص لرجال قريش : لا و الله إني لا أفارق صاحبتي و ما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش .

كان أبو العاص يحب زينب حبا كبيرا و كانت تبادله الحب و المودة و من قوله فيها حين غاب عنها في بعض أسفاره :

ذكرت زينب لما وركت ارما

فقلت : سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله سالحة

وكل بعل سيثني بالذي علم

و الأمين لقب رسول الله في قريش قبل أن يعلن النبوة و قد ذكر زينب و هي بين أهلها في قبيلتها .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب فقالوا له : طلق بنت محمد و نحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت , فقال إن زوجتموني بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجه بنت سعيد بن العاص و فارقها و كذلك فعل عتيبة و أساء إلى أبيها رسول الله فدعا عليه النبي –صلى الله عليه و وسلم-: " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأجيبته دعوته و اقتصره سد من بين أصحابه و هم نيام حوله في رحلة لهم

و لكن رقية خطبها عثمان بن عفان و هاجر بها إلى الحبشة , وهاجرت أم كلثوم مع أبيها ثم كانت لعثمان بعد وفاة رقية..

لم تخرج زينب من دار زوجها و ثبتت على إسلامها و بقى هو على شركه و لم يفرق النبي بينهما و جاءت الهجرة فجمعت الهجرة بين النبي و بين بناته في المدينة ما عدا زينب فكانت مع ابن خالتها و زوجها في مكة و تطورت الأحداث و طفح الكيل و أخذت قريش أموال المهاجرين و ديارهم و أنت تستثير أبناء جحش في حليفهم أبي سفيان بن حرب لأنه أستولي على ديارهم و باعها .

و كانت غزوة بدر فشارك فيها أبو العاص بن الربيع ضالعا مع كفار قريش و انتهت المعركة بأسره مع من أسر من قريش و كانت مشورة أخذ فيها رسول الله بالفداء و كان فداء الرجل أربعة آلاف درهم فلما بعث أهل مكة في فداء

أسراهم قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع وبعثت معه زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار و ظفار جبل باليمن وكانت خديجة قد أهدتها لابنتها يوم زفت إلى أبي العاص فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص فلما رأى رسول الله القلادة عرفها و رق لها و ذكر خديجة و ترحم عليها و قال لأصحابه : إن رأيتم تطلقوا لها أثيرها و تردوا إليها متاعها فعلمتم . قالوا نعم يا رسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع و ردوا على زينب قلاتها و أخذ النبي على أبي العاص عهدا أن يخلي سبيل زينب و يرد لها إليه و وعده ذلك و فعل.

فماذا كان ؟ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة و رجلا من الأنصار و قال لهما كونا بطن " يأجج " حتى تمر بكما زينب فتصحبها و تأتيني بها و الاتفاق مع أبي العاص على هذا أن يبلغ بها مكان زيد و صاحبه من يأجج كان ذلك بعد موقعة بدر بشهر أو قريب منه و أخذت زينب تتجهز للرحيل من مكة إلى المدينة .

تقول زينب -رضي الله عنها- بينما أنا أتجهز بمكة للحاق بأبي لقيتني هند بنت عتبة ( و هند زوج أبو سفيان و أبوها عتبة رأس الكفر قتل ببدر) فقالت أي هند: يا بنت محمد ألم يبلغني أنك تريدين للحاق بأبيك ؟ قالت ما أردت ذلك فقالت أي ابنة عمي لا تفعلين إن كانت لك حاجة بمتاع بما يرفق لك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فان عندي حاجتك فلا تستحي مني فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال تقول زينب : و الله ما أراها قالت ذلك إلا و لكن خفتها فانكرت أن أكون أريد ذلك و تجهزت .

و حقيقة الأمر أن ما بين هند و ما بين النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يوجب عدم الاطمئنان لها فقد قتل أبوها عتبة و عمها شيبه و أخوها الوليد بن عتبة في بدر و المعركة لم يمض عليها إلا شهر أو أكثر بأيام .

و آن لزينب أن ترحل أو بمعنى أدق أن تهاجر إلى المدينة حيث أبوها و رجاله فخرجت مع أخي زوجها و اسمه كنانة بن الربيع في عدة من سلاحه نهارا يفود جملها و هي في هودج لها و آثار خروجها نهارا تأثرة قريش و تحدثت الأندية و غلت الصدور بالحد و الغيظ و أسلموا أنفسهم للغضب فخرجوا في طلبها حتى أدركوها "بذي طوى" فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن أسدعيد العزى و هو من أسرة أمها خديجة و معه آخر فروعها هبار بالرمح و هي في هودجها و كانت حاملا فلما ريعت أسقطت جنينها .. وحمى كنانة بن الربيع الذي يصحبها فبرك على الأرض و نثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما فخاف القوم و تقهقروا ..

و أتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال : أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ثم قال: انك لم تصب خرجت بالمرأة على رعوس الناس علانية و قد عرفت مصيبتنا و نكبتنا و ما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بابنته علانية على رعوس الناس و من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا .. و أن ذلك من ضعف ووهن و لعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة و ما لنا في ذلك أرب من ثأر و لكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات و تحدث الناس أنا قد رددناها فسلها سرا و ألحقها بأهلها و أبيها .. ووافق كنانة و أبو سفيان يجتمعان في عبد شمس) رجع كنانة بها إلى مكة فأقامت ليلالي حتى هدأت النفوس خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة و صاحبه فقدا بها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

في خروج زينب من مكة و ما جرى في شأنها قيلت أشعار من أهل المدينة و من شعراء مكة , من ذلك سخرية هند بنت عتبة بمن خرجوا لإيذاء زينب و منعها من الهجرة إلى أبيها تقول لمن لقيته منهم :

أفي السلم أعيار جفاء و غلظة

و في الحرب أشباه النساء العوارك

و الأعيار الحمير , و العوارك الحيض من النساء .

و قال كنانة بن الربيع أخو أبي العاص يعبر عن موقفه و مبادئه :

عجبت لهبارو أوباش قومه

يريدون اخفاري ببنت محمد

و لست أبالي ما حبيت عديدهم

وما استجمعت فيضا يدي بالمهند

والرجل يومئذ على كفره لم يدخل الإسلام و قد كان الرسول بعد ذلك يتربص بهبار و صاحبه الدوائر و يبعث في طلبهما الرجال ليثأر منهما.

إسلام أبي العاص زوج زينب :

يقول الرواة : أن أبا العاص أقام بمكة و أقامت زينب بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام و كان أبو العاص رجلا من قريش له اهتماماته و طموحه و منذ أن كانت لقريش رحلتان فأبناء قريش في تجارة رابحة أنزل الله فيهما سورة من القرآن الكريم " سورة قريش " فخرج إلى الشام في تجارة لقريش أبضعوها معه فلما فرغ من تجارته و باع و اشترى أقبل راجعا يريد مكة فلقينته سرية رسول الله -صلى الله عليه و وسلم- فأصابوا ما معه و أعجزهم هاربا فلما رجعت السرية بماله إلى المدينة لم يبيئس أبو العاص فيعود إلى مكة و إنما تسلل ليلا إلى زينب بنت رسول الله فاستجار بها فأجارتها .

تقول الرواية : إن رسول الله -صلى الله عليه و وسلم- خرج لصلاة الصبح فلما كبر و كبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس أني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله من الصلاة أقبل الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم قال : و الذي نفسي بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعت .

انه يجبر على المسلمين أذناهم و يروي ذلك الموقف أن الرسول قال : " المسلمون تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أذناهم و هم يد على من سواهم " ولكن كتب السيرة تقتصر على "يسعى بذمتهم أذناهم ثم انصرف رسول الله فدخل على ابنته فقال : أي بنية , أكرمي مثواه , و لا يخلصن إليك فانك لا تحلين له .

و لم ينته الأمر عند هذا الحد فقد بعث الرسول إلى السرية التي أصابت مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم أصبتم له مالا فان تحسنوا و تردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك و إن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا : يا رسول الله بل نرده عليه . فردوه عليه لم يضمنوا على شيء منه ثم احتمله إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ثم قال : يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا جزاك الله خيرا فقد وجناك وفيا كريما قال : أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و الله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم و فرغت منها أسلمت ثم خرج يريد رسول الله -صلى الله عليه و وسلم- حتى قدم عليه كان ذلك سنة سبع من الهجرة فرد الرسول عليه زينب بذلك النكاح الأول و كان لقاء جديد بين الزوجين لم يدم لهما أكثر من عام .

توفيت زينب أول سنة ثمان من الهجرة -رضي الله عنها-